

## حسين عبدربه

**فشلت في السفر لفلسطين للمشاركة في الحرب ضد الصهاينة، فوجدت نفسى واحدا**

**من دراويش السيدة زينب.**

**حسين عبدربه «في حوار معي»**

الفتى عنيد عنادا شديدا، يذكرنى بقول الشاعر..

أرى العنقاء تكبر أن تصادا

فعاند ما استطعت له عنادا

والعناد متوارث، جده القومندان مصطفى بدوى عبدربه، كان جنديا في حرس الخديوى إسماعيل، واشتهر بقدرته الفائقة على دقة التصويب فى إطلاق الرصاص «وحتى بعد أن أصبح كهلا وضعف بصره كثيرا كان يصوب على الصوت ويصيب المصدر بإتقان» لفت نظر الخديو لأنه اكتشف مؤامرة لقتل الخديو بالسم فأمر الخديو بترقيته واقطعه ١٩٠ فداناً من أجود أراضى قريتى ميت سلسيل والرياض، وعندما نفى إسماعيل كان واحدا ممن اختاره الخديو ضمن مجموعة الحرس التى سافرت معه إلى الأستانة، وبعد فترة عاد القومندان، وأثناء الثورة العرابية صدرت له التعليمات بإغراق كل المراكب التى تبحر فى النيل إلى القاهرة حاملة الإمدادات والمؤن التى يتبرع بها المواطنون لدعم العرابيين، لعب القومندان لعبة العناد مع الخديوى توفيق كان يترك عشرات المراكب تمر ثم يحتجز واحدة واكتشفت عيون الخديوى للعبة، فأحيل على المعاش بعد هزيمة الثورة وعاد إلى ميت سلسيل ليبنى قصرا شبيها بقصر إسماعيل فى الأستانة سماه الفلاحون «السراى» أما هو فقد نادوه «مصطفى بك».

ويرحل الجد عام ١٩٣٧ عن سبعة وتسعين عاما تاركا ١٧ ابنا وابنة، توزعت الثروة بين الأبناء، الأب عمل صرافا ثم استقال ليتفرغ لزراعة الأرض، وحسين واحد من أبناء

عديدين لأب عنيد أشد العناد، كان يتأرجح بالأسرة بين الإقامة فى المنصورة والإقامة فى ميت سلسيل.

حسين يذهب إلى حضانة الفرنسسكان فى حى الحسينية فى المنصورة ثم هجأة إلى ميت سلسيل حيث يجلس القرفصاء فى كتاب الشيخ محمد أما البنات فلا تعليم على الإطلاق، ويرسو قارب الولد حسين إلى المدرسة الإلزامية فى ميت سلسيل ثم الابتدائية فى المنزل ثم، وفجأة وعندما يقترب الولد من سن الحادية عشرة قرر الأب بأن يترك المدرسة ليعاونه فى زراعة ما تبقى من أرض (٢٦ فداناً) الأم بكت وكذلك الولد. وبعد وساطات قبل الأب أن يعود حسين إلى المدرسة بشرط أن يبدأ من جديد من السنة الأولى.. لأنه لا يريد للولد أن يكمل الدراسة، الآن الأسرة فى المنصورة والولد فى طلخا الابتدائية لكن قلبه ظل فى ميت سلسيل، كان قد أصبح زعيماً لجيش من أطفال القرية، ولديه مساعد يعلق صفيحة فى رقبته يدق بها دقات معلومة إذا ما أراد حسين أن يجمع جيشه فيترك الأطفال أى شىء ويجرون نحو نقطة التجمع حيث يحركهم حسين كما يشاء، مباراة كرة قدم أو رحلة صيد فى المنزلة.

وفجأة سكت حسين خلال حواراه معى وسرح ببصره بعيداً فلما دفعته بيدي قال «لنبدأ من جديد كان هناك شخصان فى ميت سلسيل لا يمكن نسيانهما، حمادة المصرى وهو مجذوب سمي نفسه المهدي المنتظر، كان درويشا من نوع خاص جدا يرتدى شورتا وقميصا من كاكي ويرصع صدره بقطع زجاج ملون معلنا أنه المهدي المنتظر. يهتف هايل هتلر، حياة هذا المجذوب رسخت فى ذاكرتى فهو طليق وبلا حدود ولا يحتاج لتى، أما الشخص الثانى فهو أسطورة مصرية عم محمود بكر كان واحدا ممن اختطفوا بواسطة السلطة وأرسل إلى فلسطين وهرب إلى سوريا وانضم إلى حركة إبراهيم هنانو الكبير. الفرنسيون قبضوا عليه وحكم عليه بالسجن مدى الحياة فى جزيرة الشيطان فى جزر الكاريبي لكنه يهرب مرة أخرى إلى جزر الماريتنيك محتما بالجالية العربية هناك حتى تفجرت حرب فلسطين (١٩٤٨) فقرر العودة ليحارب هناك، لكنه استقر فى رحاب بلده وأنا التصقت بهذه الأسطورة وطويلا جلست إليه فى انبهار وهو يتحدث عن الاستعمار والحرية وقصص الهروب ومنه تلقنت ضرورة المشاركة فى حرب فلسطين، هو الآن عجوز وأنا شاب» فلأجل محله. وكان حسين قد شكل فرقة من طلبة المنصورة سماها «الهبوب»

تخصصت فى ضرب الجنود الإنجليز الذين كانوا يتجولون سكارى فى شوارع المنصورة، وفى الإجازة الصيفية التصق أكثر بعم محمود بكر وتلقن منه درس الحرب ضد الصهيونية، كان قد ادخر ثمانية جنيهات ونصف ولف جلايية وفوطة فى ورقة جرنال وسافر هاربا ليحارب الصهاينة سافر إلى الزقازيق، لكن قائد معسكر التدريب رفض قبول فتى عمره ١٥ سنة أو أقل، ثم سافر إلى الإسماعيلية ومنها إلى السويس لم يقبله أحد واستمر معاندا ورفض العودة فسافر إلى القاهرة لكن أحدا لم يهتم بهذا الطفل، الجنيهات الثمانية تبخرت فى المشاوير باع آخر ما يمتلك «الجاكت» وجلس على رصيف السيدة زينب ليعيش على أرغفة الفول النابت ثم يتجول بحثا عن سبيل للوصول إلى فلسطين، أصيب بالحمى استلقى على الرصيف، لكن أحد بلدياته شاهده فأبلغ أباه الذى قلب الدنيا بحثا عنه، فذهب ليعود به.

ويلح عليه نداء النضال مرة أخرى فى ١٩٥٢ فجمع ثلاثة من زملائه وهربوا إلى القاهرة وفى مبنى الشبان المسلمين استقبلهم محمد الليثى مدير الدار وجددهم متحمسين فقال لهم الأفضل أن تقتلوا الملك لكن حسين صمم على قتال الإنجليز، ويجده أباه مرة أخرى.

حصل على الثانوية العامة وإلى حقوق عين شمس عمه. يوسف «من الطليعة الوفدية» قابله مع أحمد الرفاعى وأصبح حسين شيوعيا فى منظمة حدتو وصعد ليصبح أحد قادة النشاط الطلابى فى حدتو وفى يناير ١٩٥٩ تكون الحملة الكبرى ضد الشيوعيين ويقبض عليه بعدها بفترة وإلى مسلخ أبوزعل ويكُون الصمود الأسطورى أمام التعذيب الوحشى وإلى سجن الواحات حتى ١٩٦٤ ليعود إلى المنصورة ويقود مع عبدالله الزغبى معركة الفلاحين ضد واحد من أكبر الإقطاعيين الذى قام بتهريب الأرض بأسماء فلاحين بسطاء. أيقظوا الفلاحين فطالبوا بالأرض، الأمن وقف مع الإقطاعى، فأضربوا عن الطعام وحسين يحرّكهم ويساندهم عبر تحقيقات ملتهبة فى جريدة «المنصورة» لكن التجربة أثبتت أن الإقطاعى «أبوسويلم» كان أقوى من الجميع، محمد حجى رسام الجريدة وحسين عبدربه أحد محرريها فضلا من الاتحاد الاشتراكى بتهمة أن كلا منهما «شيوعى وإقطاعى» والفلاحين قبض عليهم والجريدة أغلقت، وخلال العدوان الثلاثى سافر إلى الإسماعيلية ليشترك فى معسكرات التدريب ولكن تقريراً أمنياً أكد أنه ذهب ليقوم بتنظيماً

شيوغيا فتقرر طرده من المعسكر، ومن المنصورة إلى الإسكندرية ليعمل مديراً للمركز الثقافي السوفييتي فجعل منه مركزاً لكل فناني الإسكندرية رساميهة وموسيقييهة وممثليهة، ويستيقظ الفنان في داخله فيكتب مسرحيته الرائعة «حكاية مقتل حسن العباسي». ومنذ اليوم الأول للدعوة لتأسيس منبر اليسار كان حسين واحداً من المؤسسين وأهم المنظمين في الإسكندرية ويحتضن في التجمع حلم اليسار ويحتضنه حلم اليسار فيمضى واهباً كل وقته وكل نضاله في واحد من أهم مواقع العمل الحزبي «أمين التنظيم المركزي».. ولكن..

إذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

ويرحل حسين عبدربه دون أن يغادرنا.. فرحيقه لم يزل يغلفنا.